سؤال التنمية في فكر مالك بن نبي السياق والمنطلقات والآليات

أ.د. مفيدة بلهامل

كلية أصول الدين – جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة (الجزائر)

hcnmou@yahoo.fr

الملخص

إن قراءة سؤال التنمية عند مالك بن نبي –رحمه الله –، يجب أن يموقع في سياقه التاريخي المحلي والدولي، من جهة، وسياقه في طبيعة التكوين الثقافي لمالك بن نبي نفسه، وهو الذي تميز عن مفكري عصره –من المسلمين – بهذا التوجه تحديدا وهو التفكير المنهجي في مشكلة المسلمين –عبر نموذج الجزائر خاصة–بأسبابها وأعراضها، ومن خلال تحليلاته المستفيضة للمشكلة عبر ثلاثة من كتبه على الأقل وعلى رأسها –شروط النهضة –فحدد المنطلقات وكذا والمآلات، وبعدها وضع التصور التطبيقي في كتابه – الفكرة الأفرو آسيوية –

وبعد الاستقلال في الجزائر لمس حيثيات الإشكالات الاقتصادية في الإطار الدولي الجديد بموازينه الجديدة وذلك عبر كتابه –المسلم في عالم الاقتصاد –

إن مالك بن نبي بتكوينه الثقافي المتميز ن وبدراسته في باريس ومواكبته عن كثب محاور الصراع في المشهد السياسي الدولي منذ الخمسينات من القرن العشرين، قدّم الإجابات لسؤال التنمية في إطارها الإسلامي الروحي لإيمانه بضرورة ذلك وحيويته تعميقا للاستقلالية، والجدارة في المساهمة في المجهود

الاقتصادي الانساني للمسلمين

وكان من المأمول قراءة فلسفة مالك بن نبي الاقتصادية ضمن مشاريع واقعية تستنبط من تحليلاته كما كل أمة من علمائها، لكن يبدو أن المناهج المستوردة ببريقها الآني قد تجاوزت الحلول المحلية الهادئة والبعيدة المدى لتنخرط الأسئلة والتنمية جميعا في الحلول الجاهزة التي برمجت في إطار الموازين الجديدة ولخدمة الاهداف الجديدة القديمة ذاتها

ستحاول المداخلة عرض أفكار مالك بن نبي حول تصوراته النهضوية وشروطها ومآلاتها من خلال كتبه بالتوثيق والتهميش الأكاديمي

Abstract

The question of constructive development of Ben Nabi : context, starting points and outcomes

Reading the question of development according to Malek Bennabi – may God have mercy on him – must be located in its local and international historical context, on the one hand, and its context in the nature of the cultural formation of Malek Bennabi himself, who was distinguished from the thinkers of his time – among the Muslims – by this particular approach, which is thinking. He systematically examined the problem of Muslims – through the example of Algeria in particular – with its causes and symptoms, and through his extensive analyzes of the problem through at least three of his books, the most important of which is – Conditions for the Renaissance – so he determined the starting points and outcomes, and then laid down the applied vision in his book – The Afro-Asian Idea –

After independence in Algeria, he touched on the merits of the economic problems in the new international framework with its new standards, through his book – The Muslim in the World of Economics –

Malek Bennabi, with his distinguished cultural formation, his pedantry in Paris, and his close keeping abreast of the axes of conflict in the international political scene since the fifties of the twentieth century, provided answers to the question of development within its spiritual Islamic framework due to his belief in the necessity of this and his vitality to deepen independence and merit in contributing to the humanitarian economic effort of Muslims.

It was hoped that Malek Bennabi's economic philosophy would be read within realistic projects derived from his analyzes as every nation has from its scholars, but it seems that the imported approaches, with their immediate brilliance, have gone beyond the calm and long-term local solutions, so that all questions and development become involved in the ready-made solutions that were programmed within the framework of the new scales and to serve the goals. Same old new

The intervention will attempt to present Malek Bennabi's ideas about his Renaissance perceptions, conditions and outcomes through his books, documented and academically marginalized.

مقدمة

مالك بن نبي فيلسوف الحضارة هكذا عرف ويجب ان يبقى، وهو فيلسوف المصطلحات التي عبر بها عن مفاصل مشروعه للتأصيل البنابي للدورة الحضارية الثانية التي كان مسكونا بها واستغرقت تفكيره في اتجاه ان يكون من مؤسسيها في العالم العربي والاسلامي وضمهما الجزائر قاعدة الانطلاق ومادة للملاحظة وهدفا للتغيير الاتي، وارضية للتطبيق حين تتوفر الظروف

ولم يكن مالك بن نبي وهو يضع بواكير الكلمات والكتب لهذا المشروع "كاتبا محترفا او عاملا في مكتب منكبا على اشياء خامدة من الورق والكلمات "وانما كان يقرأ ويتأمل ويلاحظ ثم يراكم ملاحظاته ويقارنها في سوق الافكار والفلسفات وهو يتجول في جغرافيا الاماكن والحضارات ليبحث العوامل والاسباب والماجريات والنتائج والمظاهر والتجليات كل ذلك بنفسية حساسة شعرية وعقلية مهندس كهرباء.

ولعل غياب كلمة التنمية الذي لم يكن في اي عنوان من عناوين كتابه "شروط النهضة "وربما في محتواه ومحتويات كتبه الاخرى مؤشر واضح بان المسالة ليست تنمية وانما أكبر من ذلك فالمسالة حضارة وصناعة الحضارة تستوجب النهضة واليقظة والانبعاث والتجديد وهو ما يعبر بأمانة متناهية عن مشروعه وينسجم مع طروحاته في كل كتبه التي عرفت به وعرف بها "مشكلات الحضارة ".

واهمية هذه المقدمة تكمن في ان القارئ لفكر مالك بن نبي لابد ان لا يخرجه عن ما اراده الرجل، ولعل مصطلحي "البقاء والخلود " اللذين عبر بهما بن نبي عن اهداف بعض النخب السياسية هنا وهناك يجلي لنا المسالة برمتها فهو لم يكن همه مجرد بقاء الفكرة الاسلامية –وهي التي تصنع ولابد ان تصنع الدورات الحضارية في مفترقات الازمات والانحرافات –وانما يعبر عن تجليات خلودها واستحقاقها ذلك من خلود رسالتها من الاساس ومن ثم تأتي كلماته وافكاره وكتبه المختلفة تعبر عن ايمانه العميق بذلك فيتوجه باللائمة لمن يهدف الى مجرد البقاء ويغفل عن سرمد الخلود.

واذا كانت لائمته لكل "النخب الاسلامية " الفاعلة والناشطة زمن الاحتلال فان لائمته كانت اعتى تجاه رجال الاصلاح انفسهم في الجزائر الذي يعترف لهم بالسبق في اعادة زرع الفكرة واليقظة والقلق من جديد ومبادرة الاحياء والفقه والوعي بسر الصراع ووضع قطار الانبعاث على السكة الصحيحة في الجزائر –وغيرهم في غيرها – فيتعجب كيف استدرج هؤلاء الى دروب الاوثان الجديدة –الزردات الانتخابية الضيقة – والتي سجل بها عودة الفكرة ونكوصها الى المربع الاول لذوي الافق المتسرع الضيق وهو مربع البقاء وليس الخلود فرغم نورانية البدايات الا انها سرعان ما استطاعت الاوثان الجديدة –اوراق الانتخابات وزرداتها – في 1936ان تحد من بريق ذلك النور وتخلط الاولويات وتبهم الاهداف وتضبب الرؤية التي تلونت بأهداف صانعيها ولتدخل في لعبة اصبحت الفكرة الاسلامية مجرد فكرة في سوق

الافكار وهي نفسها تعترف بأفكار البوار الذي صنعها استيراتيجيو الاحتلال واختارها الغافلون لتكون خيارهم الاوحد الى – مستقبل افضل حسبهم – ولا يدرون او لم يكونوا يريدون الا ذلك الخيار ليس لأنه المتاح ولكن لأنه يدخلهم في منطقة السلامة السهلة لكن الذليلة والذي اذا دخلوه فلن يخرجوا منه ابدا لانهم كانوا يوقعون على انفسهم عدم الاهلية لأي فاعلية او فعالية او ندية فما بالك بالاستقلال والسيادة والبقاء تحت الوصاية الابدية للاحتلال وهذا هو الادماج الذي خططه الاحتلال وتسابق الغافلون عن طريق الممثلين السياسيين لحيازة مقاعد في مسرحه وهي مقاعد للفرجة والتصفيق والتبريك والخطب الجميلة ولم تكن ولن تكون ابدا مقاعد القرار والريادة والقيادة والسيادة والاستقلال التام بل تسليم كل ذلك الى الاحتلال والاعتراف له بالأحقية والفضل والفعل.

ومع ان رجال الاصلاح كانوا من المنظرين للنهضة ايضا وبطريقتهم وهو ما يجب قراءته في مقالات الشيخ ابن باديس والشيخ الابراهيمي في الموقف ازاء السياسة الاستعمارية واختراعها لملهاة الانتخابات ووو فإن ما عابه بن نبي هو اللحظة التاريخية الفارقة التي أرادها الاصلاح الجزائري حماية المطالب الجزائرية بإدراجها في الاستحقاقات الحضارية التي لم ولن يهتم بها دعاة الاندماج في استقلال الاسلام واللغة العربية من مشاريع.

مالك بن نبي كان يلاحظ الوضع ويعايشه ويكتب للتنبيه اليه والتحذير من مغبة الوقوع فيه ولذلك لما يتحدث عن الوثن الجديد البديل لوثن الخرافة ودهاليز الطرقية –الالعاب الانتخابية في وقته وارواق التصويت التي حلت محل الاحجبة والحروز –لم يكن ليهتم بالتنمية وانما بالنهضة وطرقها الوعرة وافاقها المحرّرة، وكان يخاطب الروح في الفاعلين رجال الاصلاح وغيرهم .

المسافة بين الحضارة والتنمية هي نفسها المسافة بين الخلود والبقاء

اننا سنبخس مفكرنا "مالك بن نبي "اذا ربطنا فكرة التنمية بفكره، فالمسافة بين الحضارة التي نظر لها وارادها ونبه الى امكانية تجددها وبين التنمية التي ماهي الا تخطيط اني مرحلي يتنوع حسب حاجة الناس في المكان والزمان وتتغير طرق تحقيقها، ويجب أن تقرا بين سرمدية الخلود وترابية التنمية، ويمكن في حالة التفكير المنهجي البنابي ان نجعلها المسافة بين الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر وفيلسوفنا هو من صناع النمط الاول وحاديهم ومحدثهم، والذي يتحدث عن التنمية دون الحديث أو بالأحرى قبل تحقق النهضة او "الدورة الجديدة للحضارة الاسلامية " كما ارادها مالك بن نبي كما اخوانه من السادة علماء الامة كمن يضع العربة قبل الحصان،،،،،

مشروع مالك بن نبي ما هو؟

يعبر مشروع مالك بن نبي عن مرحلة هامة من حياة الأمة الاسلامية عامة وخاصة في الجزائر، يمكن وصفها بمرحلة اليقظة ومحاولات النهوض ويأتي المشروع البنابي لينضم الى مختلف المشاريع –الاجتهادات

والمحاولات – التي اجتمعت حول هاجس الاجابة على سؤال محوري وحاسم، يتمثل في : ماهي سبل الخروج من وضعية التخلف واعادة الحاسة الحضارية للامة الاسلامية من جديد التي ستصنع تلك العودة، وهو الهاجس الذي حمله علماء الاسلام وانشغلوا به عبر اقطار المسلمين بعدما دبت حالة القلق معلنة الحركة واليقظة والصحوة في جسم الامة بطرائق مختلفة عبر عنها العلماء كل بمنهجه ولغته واسلوبه وظروف الارض التي يعيش فيها والشعب الذي يعيش معه، وخاصة نوع الاحتلال التي يتعامل ازاءه، وكانت بمثابة فصول للمقاومة الحضارية العميقة التي قادها العلماء للحفاظ على ذلك القلق وتلك اليقظة للوصول بها الى تحقيق تلك العودة المنشودة والتي كان تنبه لها الغرب وسماها خبراؤه المستشرقون "العودة المشؤومة " [1]التي يمكن ان تكون خميرة الدورة الجديدة من البعث الاسلامي

وقد انبثقت عن تلك الجهود الوعي بحالة التخلف ومظاهرها،،، وتنوعت في ذلك الاطار الاجتهادات والقراءات للموقف من الحضارة الغربية برمتها ومن ثم سبل النهوض والعودة الى حالة التحضر والحضارة من جديد فالسلمون قد صنعوا وعاشوا الحضارة وسادوا العالم لقرون طويلة فهل يمكنهم، بل فهم بمكانهم صناعة الحضارة والسيادة من جديد، ووضعت تلك الطموحات المشروعة في سياق الحديث النبوي الشريف "إن الله يبعث على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها."[2]

ونقرا في سياق الاجتهادات خطاب التقليد والاتباع، وخطاب الوحدة والتحرر، وخطاب التعبئة الايمانية، وخطاب التصحيح المنهجي للفكر الاسلامي وغيرها، والذي يجمع بينها كلها انها تقر بالأزمة التي تمر بها الامة الاسلامية والوعي العميق بها وتتجاوز القراءة الى تقديم الحلول [3]

ومشروع مالك بن نبي يدخل في هذا الإطار الكبير بل و كل الكتب التي الفها انما تتناول الحضارة ومشكلاتها –في مشكلات الحضارة –وصدرت تحمل عناوين لوجودها ووجوهها في امة الاسلام وعلى انها تحمل القراءات وتقترح الحلول، ولذلك يدرج فلاسفة التاريخ والحضارة المسلمون: –في مشكلات الحضارة ضمن المشاريع التاريخية للمدنية والحضارة المعاصرة –"مشروع مالك بن نبي " وقد استغرقت اكثر من 250 صفحة لعرضه وتحليله في كتاب "في إشكاليات المشروع والمشروع الإسلامي "الجذور الحضارية: دراسة وصفية نقدية مقارنة "[4]

---

[1]– الأصولية في العالم العربي ، هرير ريتشارد ديكميجان، ترجمة وتعليق سعيد عبد الوارث ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ط3، 1992 ، ص 26

[2]

[3]– يرجى قراء الفصل الثاني "الخطاب الاسلامي الحديث بين مسألتي التخلف والنهضة" من أطروحة الدكتوراه الموسومة ب "الخطاب الاسلامي في الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، دراسة تحليلية للجرائد" جامعة الامير عبد القادر، الدكتورة مفيدة بلهامل سنة 2008 –غير منشورة –

[4]– المشاريع القديمة حددوها في نماذج منها: مشروع أفلاطون –الجمهورية –، وشروع ابن خلدون –المقدمة –، ومشروع ميكيافيلي –المطارحات، الأمير –ومشروع جان جاك روسو –العقد الاجتماعي، –اما المعصرة فضمنوا مشروع علي شريعتي ايضا، ينظر كتاب:

الفكرة الدينية (الاسلام) أساس الحضارة في مشروع بن نبي

ان المسالة في الاساس عند مالك بن نبي –وهو ما يجب ان ندركه وبعمق –مسالة حضارة وليست مسالة تنمية بل ويستحيل الحديث عن اي تنمية دون تحديد نوع الحضارة التي تحدث هذه التنمية في اطارها والسؤال هل تصلح كل تنمية لأي حضارة؟

لقد واجه قراء كتاب "شروط النهضة "في طبعته الاولى في 1948 بالغة الفرنسية – بالتساؤلات وعدم فهم لدى الكثير منهم للدور الذي تقوم به الفكرة الدينية في توجيه التاريخ والتي لما عرض لا مالك بن نبي في الكتاب قدمها كشاهد تاريخي ونقدي وعقلي، ثم انه استخلصها من تاريخ اوروبا الديني نفسه وانتهى الى ان الفكرة الدينية هي من القوانين التي تحكم اطراد الحضارات ويتم بها فهم الوقائع الاجتماعية وكذا آلياتها، ولذلك لما صدرت الطبعة الثانية من الكتاب –وهذه المرة باللغة العربية [5]– خصص فصلا كاملا يتناول فيه اثر الفكرة الدينية في الدورة الحضارية بالاعتماد على الاعتبارات النفسية والاجتماعية ، ومن ثم في التأكيد على أهمية العلاقة بينها وبين المبدأ الأخلاقي بصفته عاملا يحدد اتجاه الحضارة ورسالتها في التاريخ [(6)].

والحقيقة التي ينبه اليها العارفون بفلسفة مالك بن نبي الحضارية هي ان الفكرة الدينية هي محور الفكر الحضاري البنابي، فعناصر الحضارة ومكوناتها التي يتفق على ذكرها عند الجميع –الإنسان، التراب، الوقت – وهده عناصر كل حضارة من الحضارات، وهي عند مالك بن نبي "أعمدة ذات علاقة وظيفية " [7]ويمكن ان تتوفر كلها لكن لا تحدث الحضارة اذا اجتمعت بدون العنصر المركب والمخصب لكل هذه العناصر والسبب هو غياب الشعلة والمركب الذي يجمع بينها ويحولها من مجرد عناصر ومكونات الى عناصر فعالة صانعة للحضارة . تلك الشعلة وذلك المركب هو بالذات "الفكرة الدينية " وهو بالنسبة للمسلمين هو الدين الاسلامي

فعندما يطبق مالك بن نبي عناصر الحضارة على المسلم في وقته –نهاية الاربعينيات مثلا –وحتى في الستينيات التي راجع فيها طبعته الاولى وصدرت فيها طبعته الثانية بالفصل الجديد المذكور تكون النتيجة: إنسان تائه – تراب بائر – زمن مهدور

لتتحول مشكلة الحضارة في الجزائر وفي العالم الاسلامي إلى مجموع المشكلات وهي على التوالي مشكلة

في إشكاليات المشروع والمشروع الإسلامي "الجذور الحضارية: دراسة وصفية نقدية مقارنة3 مهدي أمبيرش، شركة دي فار، طرابلس، ليبيا، ":1 1424- 1996، ج1- ج2

[5]– صدرت الطبعة الاولى من كتاب شروط النهضة باللغة العربية في 1948، وصدرت الطبعة الثانية منه باللغة الفرنسية سنة 1960

[(6)]–شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986ا، ص ص 10-17.

[7]– المصدر نفسه، ص 45

الانسان ومشكلة التراب ومشكلة الزمن [8]

والمحصلة ان اجتماع العناصر غير المخصبة -بفتح الصاد -لا تحدث اي حضارة وهو ما عاش عليه المجتمع الاسلامي ومنه الجزائري لقرون من الزمن، ليس لان الشعلة منعدمة في المسلمين او في انتمائهم، لكن المسلمين الذين تاهوا عنها فتفرقت جهودهم وخارت قواهم وفسدت مادتهم فانطفأت فيهم تلك الشعلة -الالتزام بالإسلام - ثم كان زمن الاحتلال الذي حارب تلك الشعلة واحل محلها مختلف الاوثان بداها بأوثان الطرقية والحروز والاحجبة وظلام الاقبية فلما صارع الاصلاح هذه الاوثان وهزموها اصطنع لهم اوثانا جديدة وهذه المرة ببدلات وعطور وكراسي ومكاتب وبأوراق انتخابية بدل الحروز والاحجبة كما يقول مالك بن نبي [9]

والسؤال المشروع ما الذي تغير في وضع المسلمين ولماذا حصل بينهم وفيهم التخلف المستدام بدل الحضارة او بعض من الحضارة :

وببساطة لان الاجيال التي تقرا مالك بن نبي بعد الاستقلال بقيت على الجهل وربما التجاهل نفسه الذي كانت عليه النخبة المفرنسة التي قرات الطبعة الاولى من "شروط النهضة "في 1948، الفرق الوحيد هو انه يمكن التساهل مع الاخرين ودون ذلك على المتأخرين ليس فقط بان مالكا شرح ووضح واضاف فصلا كاملا للتوجيه والتنبيه والتوعية في طبعته الثانية وما بعدها بل وتاريخ من الشواهد الواقعية التي لا يمكن ان تخطئها عين العقلاء

وببساطة اخرى أشد ايلاما فالذين لم يصدقوا الدرس النوراني القرآني "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " كيف سيصدقون او كيف سيتبعون من يشرحه لهم وهو منهم؟

فالنقاشات التي وصفها الدكتور "الخالدي "بالخطيرة بين النخبة في الاربعينات التي تتناول العلم والدين لاتزال هي عناوين الخلاف والانبهار والالتزام

ويبدو ان التنازل حصل ويحصل لصالح "العلم " البشري -التنمية -بينما لازالت العقول المسلمة نظريا تجهل كيف يخصب الدين النفوس لتتحول من واقع "الكلّ "الى واقع الفعالية والفاعلية لان التزامهم مهزوز ومنقوص وعلى غير هدى

التنمية بأهداف لا تمثلنا واتجاهات لا تخدم مصالحنا

رغم ان مفهوم تنمية المجتمعات قديم في الظهور كما تذكر مختلف الادبيات في الموضوع وتحدد ذلك منذ حوالي 200 عام الا ان الحرب العالميّة الثانية كانت من الأسباب المباشرة والرئيسية لظهور الكلمة

[8]- المكان نفسه، ص 45

[9]- المصدر نفسه

والمصطلح " التنمية " والحاجة اليها بعدما عانت المجتمعات المختلفة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فهي التي حركت عجلة تأهيل المجتمعات وبناءها.[10] لتظهر بعدها البرامج التنموية للمجتمعات – الاوروبية تحديدا – وتأهيل المتضررين من الحرب في الفترة ما بين 1945 -1940م، خاصة عن طريق تقديم القروض والمنح للدول الفقيرة والمحتاجة لذلك، وخلال عام 1951م قامت الأمم المتحدة بإجراء دراسة تنمية المجتمعات وإصدار تعليمات محددة تبدأ ببرامج المساعدات التنموية والفنيّة للدول الفقيرة والمحتاجة.[11]

ولما نبحث لفظ ومصطلح التنمية "developpement" من المصادر المختلفة عبر الإنترنت لتوضيح الاستخدام الحالي لكلمة "التطوير" في اللغةً نجد له عديد التعريفات

1 – الفعل أو العملية أو النتيجة المترتبة على تطوير أفكار جديدة كأن نصفه بالحكم انه تطوير مثير للاهتمام

2 – حالة التطوير لمشروع قيد التطوير

3 – قطعة أرض أصبحت متاحة أو قابلة للاستخدام: قطعة أرض مطورة خاصة: قطعة أرض تم بناء منازل عليها[12]

اما التنمية في الاصطلاح فهي عبارة عن تحقيق زيادة سريعة تراكميّة ودائمة عبر فترة من الزمن في الإنتاج الوطني والخدمات المجتمعية نتيجة استخدام الجهود العلميّة والعملية في الأنشطة الحكوميّة والشعبية المشتركة.[13]

فالتنمية في هذه الحالة خطة مرسومة او وثيقة استراتيجية تعدها الحكومات المحلية لتوجيه النمو والتنمية على المدى الطويل لمنطقة معينة .فهي تحدد رؤية للمستقبل، كما تحدد التحديات وتقترح استراتيجيات قابلة للتنفيذ لتحقيق الأهداف المرجوة .وتشمل خطط التنمية المجتمعية جوانب مختلفة، بما في ذلك البنية الأساسية والخدمات الاجتماعية والفرص الاقتصادية والاستدامة البيئية [14]ويجب التفريق بين

---

[10]– History and Concept of Community Development", studylecturenotes

[11] – Ibid

[12]– كلمة ومفهوم التنمية في :

https://www.merriam-webster.com/dictionary/development،والامثلة المقدمة في الموقع تنسجم مع المعاني والتعريفات التي قدمها عن التطور وعملية تطوير مثل : يبدأ كل موجز لمفهوم المنتج بالمستهلك والاستخدام النهائي الذي يقود عملية التصميم والتطوير — .فيرتشايلد ستوديو، دبليو دبليو دي، 5 أغسطس 2024

[13] –"What is development?", soas

[14] –All you need to know about Comprehensive Development Plans (CDPs) ; Shinjita GhoshAugust 7, 2024 ; https://housing.com/news/cdp- ، بتصرف

تاريخ التصفح : 7 -8- 2024

خطط التنمية المجتمعية والخطط الرئيسية للتنمية فبينما تركز الاولى على تحقيق أهداف التنمية عبر مختلف القطاعات، فإن الخطط الرئيسية غالبًا ما تركز بشكل أكبر على التخطيط المكاني، مثل تخصيص استخدام الأراضي.

وعليه فالتنمية هي عملية النمو وارتفاع الشيء وانتقاله من موضع إلى آخر كارتقاء المجتمع والانتقال به إلى وضع أفضل ممّا هو عليه، وذلك عن طريق استغلال الطاقات المختلفة التي تتوفّر لدى أفراد المجتمع، وتوجيه توظيفها للأفضل.[15]

ويختلف مفهوم التنمية في المجرد عن التنمية الشاملة في مدّة تنفيذ برامج التنمية حيث تختص التنمية الشاملة بالبرامج طويلة الأجل وعمليات التنمية الحضرية للمجتمعات الفقيرة بالإضافة إلى تنمية البنى التحتية.[16]

وقد ظهر اعتبار جديد للتنمية لتتحول معه الى مصطلح «التنمية المستدامة» لأول مرة من قبل الاتحاد الدولي من أجل حماية البيئة سنة 1980، وكان يشير في البدء إلى الدلالة البيئة وعلاقة الإنسان بالمحيط الحيوي من حوله، غير أن المفهوم تم تطويره وأدمج في العديد من سياقات الحياة ليكتسب معاني عميقة وكبيرة ومتسعة، وبحلول عام 1987 كانت أمام العالم نسخة محدثة من المصطلح جعلته يتعلق بالقدرات المستقبلية، وكيف للتنمية أن تكون حزمة من المشروعات[17] في صورتها المتكاملة من البرامج والخطط والأفكار التي تربط الواقع والمستقبل معًا في سبيل الاستجابة للحاجيات المستمرة للأجيال البشرية المتلاحقة والتي تقود في نهاية المطاف إلى تأمين المستقبل عبر الاسترشاد بقوة الإرادة الإنسانية والقدرات والإمكانيات الكامنة بحيث يمكن تلافي الأخطار والتوقعات غير المحسوبة في المكان والزمان المعينين.

وهذا يعني ان التنمية والتنمية المستدامة هي استراتيجيات مرحلية ومخططات زمنية كما هي المجهودات المستمرة التي تستجيب لمختلف الحاجات للمجموعات البشرية التي تضمن لها الاستمرار في المستويات المقبولة او ما فوقها من الرفاهية وتحقيقا للأهداف الكبرى لعناصر التنمية المتنوعة –السياسية والاجتماعية والبيئية والعلمية وغيرها [18]–التي اصبحت تخضع للمتابعة والمراقبة والقياس بما اصبح يعرف

---

[15]– كلمة ومفهوم التنمية في :
https://www.merriam-webster.com/dictionary/development (المرجع السابق)

[16] – –All you need to know about Comprehensive Development Plans (CDPs) ; Shinjita GhoshAugust 7, 2024 ; https://housing.com/news/cdp- ، بتصرف
تاريخ التصفح : 7 –8– 2024

[17]– التقارب بين «النهضة» والتنمية المستدامة، 17 يوليو 2019 على الموقع/https://www.omandaily.om : ، تاريخ التصفح : 7 –8– 2024

[18] – تعريف التنمية، بانا ضمراوي ١١ أكتوبر ٢٠٢٢ ، موقع موضوع.كوم،/https://mawdoo3.com ، تاريخ التصفح : 7 – 8– 2024

ب "مؤشرات التنمية " [19] بعناوينها وتصنيفاتها الشاملة والجزئية المختلفة وهي العمليات التي يتم بها القياس والحكم من خلالها بمدى تنمية المجتمعات وتطوّرها،

وقد ظهر مؤشر التنمية البشرية [20] (بالإنجليزية Human Development Index HDI) الذي ابتكرته هيئة الأمم المتحدة [21]و يشير إلى مستوى رفاهية الشعوب في العالم واصبحت تصدر له تقريرا سنويا منذ عام 1990 وما يقوم في ضوئه -نظريا على الاقل -برنامج التطوير للأمم المتحدة (UNDP) بغرض تنمية الدول وتحسين أوضاع المواطنين في الدول المختلفة باقتراح الحلول لمواجهتها، بالوقاية والاستعداد للأزمات المفاجئة المختلفة التي هي في المحصلة عملية تنمية المجتمعات، والممحص في عمق هذه المفاهيم والمؤشرات وتلك المشاكل والحلول التي هي مظاهر التنمية من عدمها والتي يمكن ان نواصل في تكديس معلوماتها الصفحات الطوال نجد انها لا يمكن ان تنفصل عن روح التحضر الذي يصنعه الاخرون ويفرضونه عندنا بحكم الانخراط الاختياري او المجبور -والاول هو الصحيح - في ما اختاره الاخرون من اشكال وفلسفات للتنمية ونضيف اليها شهادات الايزو والجودة -صكوك الغفران المستدامة -وصناعة الرضى والخنوع المستدام -

وقد ثبت مع أحداث العالم المختلفة بأنها تتسم ب

-الازدواجية والعنصرية والشعارات الواهية التي لا تشبع معناها

- بانها لا روح لها بل تؤول الى البوار والفراغ والفساد والتهديم

- بان نتائجها على صعيد تراجع الولادات والموارد البشرية بفعل الفجور والحيوانية والتجبر والوحشية التي تتجاوز الحيوان

نتائجها على صعيد الامن العالمي فهي بدل ان تحقق السلام فإنها تحقق الخوف والانتحار والشذوذ والبيدوفيليا والاندثار لقيمة الانسان

ليطرح السؤال من جديد: هل هذه هي الحضارة التي يريدها الانسان والانسان المسلم تحديدا؟

---

[19] - وتتمثل مؤشرات التنمية في الناتج المحلي الإجمالي .(GDP) الناتج القومي الإجمالي .(GNP) نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي، ومعطيات معدل وفيات الأطفال .معدل الأميّة .متوسط أعمار أفراد المجتمع والقدرة الشرائية للفرد، ينظر : Key Gap Indicators of Development", tutor2u، تاريخ التصفح: 7 -8- 2024، على الرابط:

https://www.tutor2u.net/geography/reference/the-8-key-gap-indicators-of-development

[20]- قام بابتكار هذا المؤشر عالم الاقتصاد الباكستاني "محبوب الحق "، وساعده في ذلك عالم الاقتصاد الهندي " أماريتا سين " الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد والعالم البريطاني "ماغند ديساي ،وبناءً على طلب من الهند في منتصف التسعينيات فقد لغي إصدار هذا التقرير من الأمم المتحدة

21- ينظر : مؤشر التنمية البشرية على موقع الموسوعة الحرة باللغة العربية : https://ar.wikipedia.org/wiki/ ، تاريخ التصفح : 7 -8- 2024

هل وافق الانسان -المسلم -على وضع هذه الاهداف وبتلك التوجهات؟ وهو يرى مآلاتها رؤية العين؟ وما موقعه من قرار اهدافها واتجاهاتها؟

هل هذا هو الدواء لداء التخلف المزمن الذي يعيشه قطاع كبير من الانسانية ومنهم المسلمون؟

إن القراءة السريعة لهذه النتائج وغيرها سيجعل العقلاء يترحمون على عصور الظلام لان ما يدعون اليه هو يساوي تماما دمارهم وفناءهم لصالح الفئة التي تفكر تلك الأهداف والتوجهات التنموية خاصة لما جعلت من الحلول الحوكمة واللوائح التي تبقى معطياتها وحيثياتها من الصيدلية نفسها

الحضارة بناء والتنمية تكديس، والحضارة روح والتنمية فن وصناعة

ان مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي يتجاوز مفاهيم التنمية الآنية والقاصرة والتقنية البشرية، فالحضارة بناء والتنمية تكديس، ثم ان الحضارة تمتد من عالم الشهادة بالنموذج الانساني الى عوالم الغيب بمفهومها الواسع لأنها تنطلق من فكرة معينة للإنسان وايضا وفي الوقت نفسه من فكرة محددة عن مصير النوع البشري[22]، والتحول من التكديس الى البناء تصنعه الفكرة الدينية -النص الديني ويعني الاسلام - لتجيب عن سؤال اي انسان لأي حضارة.

ولأن تكوين ابن نبي علمي ورياضي فالتحليل عنده عبارة عن معادلات منطقية ويقول القاعدة في علم الاجتماع ليست كنظيرتها في الرياضيات حدا

ومنذ القرن العشرين اصبح امتداد الحضارة الغربية قانونا تاريخيا [23]ومن العبث وضع ستار حديدي بين الحضارة التي يريدها المسلمون وبين الحضارة التي يعيشون في اجوائها ولا يمكن الحديث عن حد لذلك الامتداد الذي يقدم الوصفة والدواء والجرعة والكيفية وحتى سقف الرضى او عدمه في العقول التي تستهلكها ولان اي حضارة هي عبارة عن روح ومنتجات او اشياء فحينما نشتري منتجات هذه الحضارة فإننا نشتري هيكلها وجسدها ولا يمكن ان نشتري مع ذلك روحها الذي لا يتماشى معنا فننتهي من جهة الكم الى تكديس اشياء الحضارة الغربية ومن ناحية الكيف وبعد طول الزمن يمكن ان نصنع "حالة حضارة "ولا نصنع "حضارة " مخططة كالتي نريدها او نطمح اليها كما فعلت دول مثل اليابان وروسيا والصين [24]فالنتيجة عندنا هي حضارة الاشياء المكدسة او الشيئية ولا علاقة لهذا بمفهوم الحضارة وعناصرها المخصبة بالروح والنص والالتزام، لان اي عطب يطرا في هذه المكونات سيضطرنا الى تلمس الحل والدواء من الصيدلية نفسها التي انتجت هذه الحضارة لنعود الى دورة التسول والخنوع المستدام بدلا من المبادرة صناعة الحضارة من الاساس لأنه بساطة لم تتغير المشكلات الحضارية وبقيت تراوح وبثقلها

---

[22]- شروط النهضة، ص 10

[23]- المصدر نفسه، ص 43

[24]- المصدر نفسه، ص 44

من التراكم حقيقتها المستمرة كونها مشكلات.

ولذلك لما يقدم بن نبي تصوره للحل او الحلول –وهو المعروف في تكوينه وبين عارفيه بالصرامة– فانه يقدمها في ضوء صرامة النص القرآني نفسه الذي يؤمن به ويصدقه حقيقة وفعلا وتصورا وحلا "ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "انما يقدمه كفقيه للحضارة وادوات الحضارة بشهادة التاريخ عبر العالم ولن يتم الا بالتحول من دور التكديس الى دور الانشاء ومن الاساس، وعلى نور وفي ضوء قوانين ومبادئ وشروط النهضة التي يريدها المسلمون كمسلمين اولا واساسا، فالضوء الذي يلقيه بن نبي في تصوره للحل في سيرورة التجديد الاسلامي يجب ان يتضمن في الوقت نفسه قطبي النهضة وهما كل من "الروح والفن ".[25]

ولكن قبل اقتراح الحل هناك مرحلة يجب المرور بها وهي المرحلة التي يجب ان تزول فيها تماما الانقاض من الفناء الغاص ببقايا الانحطاط ورواسب الماضي [26] ومع هذا البت الصارم رغم جدارته الا ان تصور تحقيقه في الواقع يجعله ضرب من المثالية الفكرية والسياسية.

لماذا "بقي " و"يبقى "مشروع مالك بن نبي "مشروعا"

والمقصود ب "المشروع "هنا معنى الشرعية ومعنى انه مكتمل الفصول كما فكره صاحبه ثم معنى التوق المستمر لتحقيقه لأنه لم يعط الفرصة لان يفكر في تطبيقه طيلة هذه المدة من اقتراحه ونطرح ذلك بناء على ما يلي:

- يبقى المسلمون من بين الشعوب التي من حقها المشروع بل من واجبها تغيير ما بها من ذل وتخلف وهي تملك تجربة الحضارة واسبابها وعناصرها المتجددة التي تحتاج لتفعيلها في المكان والزمان المناسب فقد سادت وعمرت لقرون طويلة وحققت للبشرية العدل والعلم والسلم والاخوة والرفاهية بل وأقصى درجات الحضارة تطوراً ورقياً، يدرك المدرك لها انها حضارة لها تصورها للإنسان من جهة وتصورها لمصير الانسان من ناحية اخرى وهو الانجاز الذي قدمه المسلمون للبشرية وكان أمنا وسلاما.

- ترتبط فكرة المشروع بمسالة التطبيق من عدمه ولان مشروع مالك بن نبي لم يتحقق او لم يجد طريقه الى التحقيق، و مفهوم الدورات الحضارية المستمرة هي أساس المشروع في ارتباطها بسنن التغيير وسنة التدافع وسنة الاستبدال، والشروحات الطويلة الفنية والعقلية والمنطقية التي ضمنها بن نبي مختلف كتبه –في مشكلات الحضارة –هي دليل عملي يمكن الاستنارة به حين تتوفر الظروف والتربة الصالحة، فالمسالة ليست في الوسائل وانما في فكرة المشروع المرتبط بمعنى الآية الكريمة "ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "من جهة وبالحديث الشريف " ان الله يبعث على راس كل مائة عام من يجدد لهذه الامة

[25]– ندرك مع القراءة المتعمقة لهذا ان الحضارة هي الروح وان التنمية هي الفن او كما يصفه علماء الاسلام بالصناعة

[26]– شروط النهضة، ص 8

امر دينها " وتبقى تطورات الظروف هي من تحدد الوسائل والمناهج لكن في اطار التشوف الى العودة الى الظروف الاولى التي انتجت الدورة الحضارية الاسلامية الاولى لنعود الى الاتفاق مع بن نبي الى نوع الانسان الذي يصنع تلك الظروف وبالتالي هذه الحضارة المنشودة دوما

❖ اما من ناحية مفهوم المشروع لكونه متكامل وبمفهوم المخطط فلان صاحبه لم يكتف بجعله مشروعا فكريا فقط يبقى في مستوى الفلسفة العاجية والمثالية المتعالية وانما تناوله بالشرح وقدم له اقتراحات وامكانيات التطبيق الواقعي ويمكن ان نتتبع ذلك من خلال المحاضن الفكرية للمشروع البنّابي في أكثر من كتاب وخاصة كتبه الاتية

أ – كتابه "الظاهرة القرآنية " الذي قدم فيه الاساس الفكري لمشروعه بالبحث عبر مواضيع القرآن الكريم وما تطرحه من أفكار، والذي درج فيه صاحبه منهجا جديدا في البحث والتحليل انفرد به عن سواه وقدم من خلاله محاولة شمولية في إطار المطلق القرآني، استمد أصوله فيها من تأمل طويل في طبيعة النفس الإنسانية، وفي غريزة التدين في فطرة البشر وفي تاريخ المذاهب والعقائد التي توسم بالتناقض أحيانا، ولكنها تكشف عن مستور التدين في كل إنسان، ثم هو يستمد أصوله من «الفحص الدائب في تاريخ النبوة وخصائصها ثم في سيرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، منذ نشأته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى»[27].

فالإنسان إذا أدرك عجز عقله عن إدراك ما فوقه لخروجه عن دائرة الإمكان الإنساني ودخوله دائرة المطلق الذي يكون الإمكان الإنساني دليلا عليه وجزءا منه وليست هو، هنا تكون الحاجة إلى الرسالات لتقديم معارف لا تتجاوز الإمكان فحسب بل وتوجه الإنسان نحو المنهج الشمولي في الوصول إلى المعرفة وهو ذات المنهج الذي تلمّس "مالك" خيوطه في كتابه "الظاهرة القرآنية" وخاصة عند حديثه عن الحركة النبوية.

ب –كتابه "شروط النهضة "

ويمكن تأكيد ان كتاب "الظاهرة القرآنية" و"شروط النهضة" هما عملان يكمل كل منهما الآخر ويقدمان معا تفسيرا لدور «الفكرة الدينية في إحداث التأثير في حركة التاريخ ومن ثم في التأكيد على أهمية العلاقة بينها وبين المبدأ الأخلاقي بصفته عاملا يحدد اتجاه الحضارة ورسالتها في التاريخ»[28].

ج – كتابه "مذكرات شاهد القرن" [29]

د– كتابه "فكرة كومنولث إسلامي"[30]

([27])–الظاهرة القرآنية، دمشق، مالك بن نبي، دار الفكر، 1987م، ص18.

([28])–شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 10–17.

[29]– مذكرات شاهد القرن، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984

[30]– فكرة كومنولث إسلامي،

طرح فيه ابن نبي مشروع فكرة الإفريقية الآسيوية أبرز فيه أفكاره العامة بخصوص إنشاء كيان يجمع الأمة من جديد على فكرة واحدة ويساهم في حل مشاكلها المشتركة وإعادة مجدها من جديد وذلك بعدما بدا له أن "مؤتمر باندونغ" يمثل الأمل في ظهور قوة جديدة لإمكانية المواجهة مع محور (واشنطن-موسكو) باعتباره يشكل سياسية غربية تواجه الشرق، لكن فشل مؤتمر القاهرة ثم عدم توصل المؤتمر إلى أهدافه، دفع بمالك بن نبي بوضع تصور آخر أكثر عملية فكان "فكرة كومنولث إسلامي" والذي يعرفه بمحور (طنجة-جاكرتا)

ويأتي كتاب "فكرة كومنولث إسلامي[31]"، ليقدم فيه "بن نبي" تصوره العملي لإمكانات نجاح المشروع الذي يجتهده في إطار المشروع الحضاري الإسلامي، وقد حاول من خلاله أن يعطي الفكرة الإسلامية بعدا أكبر لتتحول إلى سياسة لشعوب «لم ترد أن تمثل دورها متعلقة بأذيال الكبار ولكن دور أنداد أحرار في اختيار طريقهم الخاص بوسائلهم المناسبة واقتناعهم بأن اختيارهم هذا لا يتيح للإنسانية فرصة جادة للهروب من الحرب»[(32)].

ه – كتابه "وجهة العالم الإسلامي"[33]

ومع أن "بن نبي "ينبه القارئ من أنه لا ينتظر منه حلا جاهزا للمشكلة لأن حلها لم يوضع بعد من جهة وأن الوطن الإسلامي ليس جاهزا للعمل لأسباب منها ما يتعلق بالجانب النفسي، ومنها ما يتعلق بالجانب المادي وهو ما يطلق عليه باللا فاعلية[34]، فإن مشروعه من جهة أخرى وحاسمة لا يستطيع أن ينهض به شخص واحد بل يحتاج إلى هيئة مشتركة.

ولذلك نجد "بن نبي" يطيل الوقوف عند المشكلات التي قد تواجه المشروع وصعوبة مواجهتها في الوقت نفسه لكنه في المقابل يقدم الوظيفة التي يمكن أن يقوم بها المشروع حتى يستدرك المسلم تخلفه وذلك عبر ما سماه بتوسيع مناطق حضوره الفكري، ومن ثم نجده يرسم دوائر تصور إمكانية حضور المسلم الجزائري ويحددها في خمس هي دائرة العربي الجزائري، العالم العربي، العالم الإسلامي والعالم الإفريقي الآسيوي، والدائرة العالمية، ويرى "مالك بن نبي" أن اتساع دوائر الحضور بدرجة الوعي، التي ترتبط هي الأخرى بنمو عالم الأفكار عنده[35]

---

[31]– فكرة الكومنويلث الإسلامي، تقوم على عكس الكومنويلث البريطاني الذي يعتبر فيه الملك أو التاج هو الرابطة العضوية بينما الرابطة العضوية للكومنويلث الإسلامي تتمثل في فكرة الإسلام وتتشخص في مجمع دائم والمقر الرسمي لهذا المجمع يجب أن يكون في ذات الوقت هو الوحدة القاعدية التي تتصل بأجزاء هذا الكومنويلث لتقرر في ما بينها ما يتعلق بشؤونها الإسلامية العامة.

[(32)]–فكرة الإفريقية الآسيوية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1981م، ص55.

[33]

[(34)]–فكرة الكومونولث الإسلامي، مالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، 1990م، ص17.

[(35)]–فكرة الكومونولث الإسلامي، المصدر السابق، ص68.

و – كتابه فكرة الافريقية الاسيوية 1981[36]

والحقيقة ان كل كتب مالك بن نبي قد صدرت في إطار مشكلات الحضارة وقد قدم في كل منها على حدة شرحه ونماذجه للأفكار التي كان يلاحظها ويعايشها ويتناولها كمادة تكتمل فيها عناصر مشروعه

❖ يقول الدارسون لمشروع مالك بن نبي والمقيمون له بان "بن نبي" حاول ان يتجاوز محاولات مفكري الاصلاح ، وان افكاره اتسمت بطابع المنهجية العلمية الا انها كانت تفتقد هي نفسها للوضوح من الجانب الاجرائي خاصة وانها تتجاوز في دوائرها الجغرافية القطر الجزائري الى الامة العربية ثم الى الأفرواسيوية [37] لكن مالك بن نبي لم يحدد في كتابه بدقة "الهيكلة التي يجب أن يكون عليها "الكومنويلث الإسلامي " نظرا لإيمانه بأن الجانب العملي لهذا المشروع يجب أن تعكف عليه مراكز دراسات وأبحاث متخصصة لتضعه في صورته النهائية واكتفى يطرح الدوافع والأسباب والطرق التي تمكن من تسهيل هذه الفكرة وجعلها قابلة للتطبيق،"[38] ويمكن من خلال هذا التقويم نفسه ان نقرا التقويم الذي قرأ "الدكتور عبد العزيز الخالدي "من خلاله مشروع مالك بن نبي وحينها لم يكن المشروع قد اكتمل ولا ظهرت مآلاته التطبيقية الطموحة بعد، وذلك حين وجه كلامه للدول الغربية بالقول "ونحن نريد ان تتقبل الدول الكبرى هذه الصحوة لا –كخطر إسلامي –ولكن كنهضة لمئات الملايين من الناس جاؤوا بدورهم ليساهموا في الجهود الخلقية والعقلية للإنسانية " [39]لنفهم صعوبة واستحالة ان يقبل الغرب بدوله الاستعمارية اللئيمة ان يقتسم العالم معها اي جهة اخرى بشهادة النص القرآني الذي يجب ان نستشهد به في هذا الموقع بالذات في قوله تعالى "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان الهدى هدى الله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير البقرة 120)"، خاصة وان دخول الشعوب الأفرسيوية على المسرح قد أعاد الازدواج الجغرافي والسياسي للعالم بطريقة معينة، ولكن في الوقت نفسه أتت هذه الشعوب معها بمبدأ تركيب للعالم، وبإمكانيات تعايش جديد يحمل بوضوح طابع عبقريتها، التي ترتبط بالشروط الأخلاقية لحضارة لا تكون تعبيراً عن القوة أو الصناعة."

فليس الامر متعلق في المحصلة بوضوح الأفكار وجدارتها وقوتها وانما أصبح يتعلق بموازين القوة التي تحكم العالم وارادتها وتغول المصالح واعتبار محاولات الشعوب عبر نخبها تحقيق الاستقلال والندية الاقتصادية خاصة خطرا يستهدفها مباشرة، وهو فيصل وغاية الصراع عند هؤلاء وهو الصراع بين الدين والعلم منذ البداية الذي يتمفصل العالم حوله إلى الآن.

---

[36]– فكرة الافريقية الاسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1981

[37]– في إشكاليات المشروع والمشروع الإسلامي "الجذور الحضارية : دراسة وصفية نقدية مقارنة، المرجع السابق، ص 356

[38] – الكومنولث الإسلامي.. من أفكار بن نبي إلى طموحات مهاتير محمد –عبد الرحمن الشنقيطي، 27/11/2019، مدونة على موقع الجزيرة – نت

[39]– شروط النهضة، المصدر السابق، ص 11

ولذلك حينما يتوقف مالك بن نبي في كتبه على التوالي : "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة "و "مشكلة الأفكار "وكذا "مشكلة الثقافة"[40] فإنما ليشرح لصالح من آل قرار طرفي الصراع او اطراف الصراع وليس المقصود هنا صناع القرار الدولي فقط وانما اتباعهم في الدول التي كانوا يستعمرونها من خلال الاشكال الجديدة للاستعمار والحيلولة دون ان يجد مثل مشروع مالك بن نبي أو غيره طريقه الى التطبيق حتى اجل غير مسمى، فالقضية روح وفن ومناهج وتعليم وتجاوز ذهان الاستحالة والقدرة على المبادرة والدفاع عنها في الوقت نفسه، وهذا ما يسمح ببناء الفكرة الدينية من الاساس ومن جديد وترسيخها ووعيها وادراكها لتتحول الى حضارة من جديد في بلاد الاسلام والمسلمين

فالمسالة لا تكمن في التشكيك في قدرة الفكرة الدينية في صناعة الدورة الحضارية وهي الاساس في افكار المشروع ومالاته الاجرائية حين تتوفر لها الارادة والقرار وانما في خور الانسان –البائر–الذي ذاب ويتماهى في حضارة غيره وهو لا يدري انه انما الانسانية فيه تطالبه بالتحرر والندية بل والانتصار ما دامت القضية هي صراع مادي

❖ اما الكتابات التي تركز على ان الجزائريين قد تجاهلوا فيلسوفهم وانهم حاصروا أفكاره وانه رحمه الله، قال لزوجته في آخر حياته "سأعود بعد ثلاثين سنة وسيفهمني الناس"،[41] وقد يكون الامر بعد ذلك في اشارة للتجربة الاسلامية الماليزية في مدارسة افكار بن نبي في الجامعات والتاثر ببعضها على اعلى مستوى [42]، فان حقائق العالم تؤكد بان فكرة الحضارة كما فكرة التنمية ستبقى مستعصية على الجزائر والعالم الاسلامي كما العالم الأفرو آسيوي لان "إرادة الكبار – كما يقول مالك بن نبي في كتبه في وقته وهو الذي لايزال في الوقت الراهن– بما تتمتع به من حق الاعتراض (الفيتو) في المناقشات الدولية لتعتبر في الواقع التيار المضاد لاطراد التاريخ، تياراً مضاداً بكل العناصر السلبية التي تملكها حضارة لم تستطع أن تتغلب على مصاعبها الأخلاقية، وهذا الجمود الأخلاقي كله هو الذي يضغط بثقله على المصير الإنساني، معطلاً التاريخ، تاركاً الأحداث تجري في مكانها،،،"[43]

❖ لما فكر مالك بن نبي تحقيق مشروعه عبر تحالف كان يطمح اليه ويوصف في كتبه بحلف –طنجة جاكرتا – او حلف "أفرو آسيوي " و ايضا "بحلف المظلومين ضد حلف الظالمين "كان يعتمد على حقائق

---

[40] – مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1984

[41]– كتاب "فكرة الأفريقية الآسيوية" لمالك بن نبي، 18 أفريل 2020، https://alhirak-alikhbari.dz/article/، تاريخ التصفح 9 -8- 2024

[42]– لما ظهر مهاتير محمد رئيس الوزراء دولة ماليزيا المسلمة بين 1982 – 2003 قام بمحاولات جادة لوحدة المسلمين وكانت له اهتمامات صادقة بقضايا الامة الاسلامية وخاصة قضية فلسطين وقد عمل على الدعوة الى اتحاد إسلامي –(مالاوي – عربي – اوروبي – إيراني)–من أجل نقاش مشاكل الامة الاسلامية الرئيسية وأزماتها المستمرة وقد استلهم فكرته من افكار وكتب مالك بن نبي –رحمه الله –

[43]

العالم الجديدة في الستينات والسبعينات، من جهة تحرك الكتلة البشرية الجديدة التي تكونه والتي تحررت توّا من سيطرة الهيمنة الغربية وتمثل حينها -ثلاثة ارباع الانسانية - وتطالب كلها للمرة الأولى منذ قرنين بحقها في الحرية وفي العمل وفي الخبز، وبقدر ما أحدث ذلك عاصفة في الضمير الإنساني، وفي حلبة السياسة الدولية بقدر ما برزت من خلالها المشاكل الحقيقية، أو الموضوعات الجوهرية لنوع الازمة في العالم و كان " بن نبي "يتأمل نجاح مشروعه عبر الحلف الذي ينشده وعبر المنبر الذي فتح له حيث مثّل "مؤتمر باندونغ" سنة 1955فرصة للتعبير عن ثورة العالم الثالث على النظم الاقتصادية والسياسية والثقافية التي وضعت في القرن التاسع عشر لتسييره، حيث استطاعت أوروبا خلال قرنين من الزمان أن تتحكم في موارد العالم كله، وان تضعها تحت تصرف النظام الأوروبي فحسب، محتكرة بذلك- من أجل فائدتها- الحرية والسلام والعمل، و أحدثت في العالم المتحضر تفرقة بين الأخلاق والسياسة:

ويعتقد مالك بن نبي ان الوجه الوحيد لمواجهة القوة والمركزية الغربية هو الاخلاق ولذلك رأى ان مؤتمر باندونغ يحمل معالم دستور أخلاقي دولي، مثالي، دون أن يفقد واقعيته السياسية المطلوبة التي تدرك غاياتها ووسائلها."

لكن المؤتمر حسب "بن نبي " قد جمع فعلا كل شروط ثورة العالم الثالث، إلا شرطا واحدا وهو شرط إطلاق الشرارة الفكرية الضرورية لإضرامها."وكانت هذه من علامات فشل فكرته الأفروآسيوية، التي طرحها منذ سنوات قبل المؤتمر وذكر ذلك في الطبعة الثانية من الكتاب بأن: "الفكرة ...قتلت في المهد، وقتلتها جاهلون." [44]

إن حقائق العالم المعاصر الذي تعيش فيها الامة الاسلامية لا تشهد على التغيرات التي يمكن ان نتأمل معها ان تحقق لا التنمية ولا الحضارة، وقد فشلت مختلف المحاولات التي دعت وسعت ونظرت وجاهدت من اجل وحد ة الامة ، ثم تلك التي عوّلت على وعي الفرد المسلم - الذي كلما زاد وعيه زاد ادراكه - كما ظنها وآمن بها حقا مالك بن نبي نفسه - وتضاف الى هذه الحقائق واقع الفرقة اللغوية والدستورية والتشرذم والتناقض في المواقف المصيرية نفسها للامة التي لم يعد لها اولويات واحدة في الشأن العام وخاصة في العلاقة مع الاخر الحضاري والعدو

ومن جهة اخرى استمرار التغول الغربي والتعمق للمركزية الغربية وارتكازها على رعونة القوة المادية القاهرة عبر المنابر والقوانين والقرارات الثقافية والفكرية والاجتماعية التي تفرض على الامة دون مشاركتها او قبولها او اقرارها بل وفي غيابها على كل مستويات تلك التوجهات

وفي اطار ما يسميه بعض المفكرين العجز الأخلاقي الغربي الذي "وان أنشأت عبقريته بنفسها أحد

[44]- كتاب "فكرة الأفريقية الآسيوية" لمالك بن نبي، 18 افريل 2020، https://alhirak-alikhbari.dz/article/، 9 -8- 2024

العناصر التي حتمت الاتجاه المنطلق للتاريخ، فلم تدعه يرجع إلى الوراء، فإن هذه العبقرية قد برهنت على أنها لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها، وبرهنت الأحداث الدولية الحالية على عجزها الأخلاقي عن أن تحتل مكان القيادة في العالم. إذ لكي تتحمل أعباء هذه القيادة لابد من سلطة أخلاقية، ودفعة روحية مما لا وجود له في هذه العبقرية الصناعية، ولا في مبادئها ولا في توجيهها." [45]

إن وضع الامة المأساوي ونكباتها المستمرة وغرقها في الحروب واستباحة أرضها من طرف الشرق والغرب ليجعل الوحدة الإسلامية ووجود كيان جامع يمثل المسلمين ويحمي مصالحهم ضرورة فوق كل الضرورات وغاية هي أم الغايات.

وهذا ما يبقي مشروع مالك بن نبي مستمرا وقابلا للتحقيق لا لتحقيق التنمية فذلك هدف صغير يرتبط بمجرد البقاء والتكيف وانما لتحقيق النهضة المستدامة والحضارة المستقلة السيدة والندية التي تتأسس على الاخلاق وتحقق الأهداف المنشودة ليس للامة الاسلامية فقط وانما ايضا للبشرية المعذبة وأحلامها المشروعة في السلم والامان مع الرفاهية والسعادة.

التوصيات

ادعو الى إدماج كتب مالك بن نبي في منهاج المنظومة التربوية والاجتهاد النخبوي للإسراع في ذلك

المصادر والمراجع

1 – شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ندوة مالك بن نبي، 1986

2 – فكرة الإفريقية الآسيوية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1981م

3 – فكرة الكومونولث الإسلامي، مالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، 1990م

4 – الظاهرة القرآنية، دمشق، مالك بن نبي، دار الفكر، 1987م

5 – تعريف التنمية، بانا ضمراوي 11 أكتوبر 2022، موقع موضوع.كوم، https://mawdoo3.com/

6 – التقارب بين «النهضة» والتنمية المستدامة، 17 يوليو 2019 على الموقع : https://www.omandaily.om/

7 – كتاب "فكرة الأفريقية الآسيوية" لمالك بن نبي، 18 أفريل 2020، https://alhirak-alikhbari.dz/article/

8 – الكومنولث الإسلامي.. من أفكار بن نبي إلى طموحات مهاتير محمد، عبد الرحمن الشنقيطي 27/11/2019، https://www.aljazeera.net/blogs

[45]– المرجع نفسه

9 - الأصولية في العالم العربي ، هرير ريتشارد ديكميجان، ترجمة وتعليق سعيد عبد الوارث ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ط3، 1992 .

9-https://ar.wikipedia.org/wiki/

10- All you need to know about Comprehensive Development Plans (CDPs) ; Shinjita GhoshAugust 7, 2024 ; https://housing.com/news/cdp-

11- History and Concept of Community Development", studylecturenotes

12- Key Gap Indicators of Development", tutor2u , https://www.tutor2u.net/geography/reference/the-8-key-gap-indicators-of-development .